أمل لهم فى منطوى الغيب ثائراً سيسمولكم والليل فى الصبح موج
عجر تضيق الأرض من زفراته له زجل يفنى الوحوش ومهزج
توامضه شمس الضحى وكأنما ترى البحر فى أعراضها يتموج
له رفدة بين السماء وبينه يؤم بها الطير العواف فتهزج
يود الذى لاقاه أن سلاحه هنالك خلخال عليه ودملج
فيدرك ثأر الله أنصار دينه وشه أوس آخرون وخزرج
ويقضى إمام الحق فيكم قضاءه تماماً وما كل الحوامل تخرج
وقد كان فى يحيى مذ مر خطة وناتجها لو كان فى الأمر منتج
أفى الحق أن يمسوا خماصاً وأنتم يكاد أخوكم بطنه يتمعج
تمشون مختالين فى حجراتكم ثقال الخطا أكفالكم تترجرج
وليدهم بادى الطوى ووليدكم من الريف ريان العظام خدلج
ولم تضعوا حتى استثارت نبورهم كلابكم منها بهيم وديزج

وهذه القصيدة « ١١٠ » أبيات اخترنا منها هذا القسم للجدال ولبيان بعض الأحوال

[بغداد] مصطفى جواد

اللغات الهندية

بقلم الأستاذ إحسان سامي حقي
أستاذ الأدب العربي بجامعة عليكرة [الهند]

قد يستغرب السامع لأول وهلة ، إذا ماقلت له إن فى الهند مايقرب من مائة لغة حية يتكلم بها فى مقاطعات أو ولايات مختلفة ! ولكن استغرابه هذا يزول إذا ما عاد وفكر فى الهند ، تلك البلاد الشاسعة غير الصغيرة ، بل القارة القائمة بذاتها ، وإن كانت تنضوى تحت اسم واحد . وإن أوروبا التى لاتزيد كثيراً عنها فى المساحة ، فيها من اللغات مايقارب الأربعين ، وكلها قائمة بذاتها ، ولكن الفرق أننا اذا ماقلنا أوربا فاننا نفهم منها : فرانسا والمانيا ورومانيا أوأسبانيا وغيرها من الحكومات الكثيرة ، وأما اذا ماقلنا الهند ، فاننا نفهم منها حكومة واحدة ؛ على أن الأمر غير ذلك أو أن ماينطبق على أوربا فى هذا الباب ينطبق تمام الانطباق على الهند ، لأنها وإن كانت تعد بلاداً واحدة ، ففى بما فيها من فواصل طبيعية وأجواء مختلفة تكاد تكون منفصلة الأجزاء ، ولو شئنا تعرف تقسيمها ، كما هى أوربا مقسمة ، لاستطعنا أن نقول : البنجاب ،

والبنغال ، والولايات المتحدة ، والسند وغيرها ، ونعنى بكل واحدة من هذه الولايات أو الايالات حكومة مستقلة كما هى الحال فى أوربا .

ولكن مع هذا كله نرى أن اللغات الهندية أكثر من الأوروبية ! والسبب فى ذلك يرجع أولا الى أن الهند أقدم فى الاكتشاف وأعرق فى الحضارة من أوربا ؛ وثانياً لأن لغاتها مأخوذة عن أصول مختلفة ، بعكس اللغات الأوربية فانها ترجع إلى أصل واحد فقط . واللغات الهندية كلها حية مستعملة ، غير أن بعضها أعم من البعض وأغزر فى أدبه ومادته . وعلى مايظهر من التحرى والتحقيق فى هذا الشأن رغم بعد الزمان ، هو أن اللغة السنسكريتية كانت فى وقت ما لغة معظم الهند ، لأنها لغة كتاب الوثنيين المقدس ، إلا أن هذه اللغة الآن قد قاربت أن تكون فى الهند كاللغة اللاتينية القديمة فى أوربا ، حيث تقام بها الصلوات فى البيع ولا يفهمها أحد ؛ وهى لغة واسعة جداً إلا أنها صعبة للغاية حتى إنه قل من يوجد فى الهند ومن يحسنها أو يتقنها ، وإنما علماؤها يعدون على الأصابع ؛ وغيرهم ممن يعلمها أو يدعى علمها إنما هم من المتطفلين لاغير ، أو هم أشبه فى حالهم هذه بحال العربى الأمى الذى يستطيع أن يتكلم العربية ويفهمها ، ولكنه لايستطيع أن يفهم كتاباً مكتوباً باللغة الفصيحة ، أو أن يكتب بلغة صحيحة . وقد أحببت مرة أن أدرسها فطلبت إلى أحدا لأساتذة ذلك ، فقال لى : وماذا تبتغى من تعلم هذه اللغة ؟ : قلت لكى أدرس آدابها ؛ فقال لى : إنى قد صرفت عمرى وأنا أدرس وأدرس هذه اللغة ، ولم أصل إلى الدرجة التى تريدها أنت ! وقد ذكرنى قوله هذا بحكاية لطيفة جرت لأحد الأصدقاء وهى أنه اجتمع مرة برجل صينى وسأله ، فيما سأله ، عن اللغة الصينية فقال له الصينى : إن لغتنا لغة سهلة جداً يمكنك أن تتعلمها بعد عشر سنوات على الأقل !

إلا أنه مما لا يمكن إنكاره ، أن اللغة السنسكريتية لغة واسعة جداً ، ذات أدب جم وفلسفة كاملة ، وهى أشبه اللغات باللغة العربية ، كما رأيت من مطالعتى لما ترجم عنها أو ما اتصل بها بقرب من اللغات التى أعرفها .

ثم تأتى بعد هذه اللغة ، اللغة البنغالية ؛ وهى الآن من لغات الهند الحية ذات الأدب الواسع ، ويتكلم بها ما لا يقل عن عشرة ملايين من البشر ، وتصدر بها عدة جرائد ومجلات ، وتدرس فى المدارس كلغة حية . وتأتى بعد هذه ، اللغة البنجابية ؛ وهى لا تقل عن البنغالية شيئاً ، بل تزيد ؛ ويحميها الآن شعب بكامله ، وهو جماعة « السيخ » لأنها لغة كتابهم المقدس ، وهى مستعملة بكثرة فى البنجاب خصوصاً ، وفى مايجاورها من البلاد ؛

وهناك أيضاً تلك اللغة القديمة التى لايشوبها لفظ عربى ، ولا فارسى ، ولا انكليزى ، وتسمى الكرمكية ، حروفها أشبه بالحروف السنسكريتية .

وهناك لغة ثانية ، هى المشوبة بألفاظ من هذه اللغات ، وحروفها عربية

أما اللغة الأولى فهى لغة غير المسلمين ، وأما الثانية فهى لغة المسلمين . وبعد البنجابية تأتى اللغة السندية ، وهى لغة أهل السند فقط ، وليست راقية كغيرها . وهناك اللغة الكجراتية

وهي تستعمل في ضواحي بمباي . واللغة التاملية ، وهي تستعمل في ضواحي مدراس ، وهناك التلوجية، والبشتوية ، والكشميرية ، والمكرانية ، والفارسيه وغيرها: وكلها من اللغات الحية التي يتكلم بها ملايين من الخلق .

ومع كل هذا ، فان للهند لغة واحدة يستطيع من يتعلمها أن يتفاهم مع كل طبقات الناس، بتفاوت بسيط في طول الهنـد وعرضها ، وهـذه اللغة هي اللغة الهندية ، وتقسم إلى قسمين: قسم يعرف بهذا الاسم ، وهو لغة قديمة جداً ، مأخوذة عن السنسكريتية ، بألفاظها وحروفها واصطلاحاتها ، مع مزيج من لغات هندية أخرى ، تكاد تكون لغة الولايات المتحدة الهندية الرسمية ، وهي ذات أدب كبير واسع ، وتدرس في كل المدارس، وأما القسم الثاني ، ويعرف باسم اللغة الأوردية ، فهو لغة جديدة من موجدات المسلمين في الهند .

وذلك أن الحكومة المغولية بعد فتحها للهند ، رأت تسهيلا على جنودها ، أن توجد لهم لغة ، فأوجدت هذه اللغة التي هي عبارة عن خليط من اللغات الهندية والفارسية والعربية ، وأسمتها بهذا الاسم ، ومعناه « الجيش » ، وقد يمكن أن تكون هذه اللغة أوجدت نفسها بنفسها ، بأن تعلم الجند شيئاً من اللغة الهندية ، وجعلوا يستعينون بلغتهم تارة ، وبالعربية — التي كانت قد استحكمت بهم — تارة أخرى ، فتولد عن ذلك هذه اللغة التي نمت نمواً لم يكن منتظراً ، وأصبحت الآن ذات أدب عال . والسبب في ترقي هذه اللغة ، هو أنها أخذت من السنسكريتية فلسفة ، ومن الهندية أدباً ، ومن الفارسية ليناً ، ومن العربية سعة .

وبعد احتلال الانكليز للهنـد أخذت من اللغة الانكليزية ألفاظاً ، فأصبحت تمثل خمس لغات في وقت واحد ، وهي تكتب بالحروف العربية أو الفارسية، غير أنه لما كانت حروف هجائها تزيد على غيرها عدة أحرف ، وضع لها الواضعون إشارات تميزها تمييزاً ظاهراً لا يدع مجالاً للشك ، فمثلا جعلوا فوق (الراء) العربية (طاء) صغيرة ، لتدل على أنها سنسكريتية، حيث يختلف أداؤها من الخلق عن العربية ، وهكذا وضعوا (طاء) فوق الدال العربيـة ، وهجروا من الاشارات الحسنة المميزة ، وقد تداخلت فيها اللغة الانكليزية تداخلا مسخها مسخاً، حيث أصبح لا يستطيع من لا يعرف الانكليزية أن يفهمها كما يجب ، بل قد يتعذر عليـه أحيانا أن يفهم جملا بأكملها ، لأنها تكون إنكليزية ، موصولة بقواعد إضافية أو نسبية هندية لا غير ، وعلى كل حال فان هذه اللغة الجديدة ، قد اكتسحت اللغات الهندية جميعها وقامت مقامها ، لدرجة أن الانسان يرى من يتكلم بها في كل بقعة من بقع الهند .

ولم يفتني أثناء سياحتي وتجوالي في البلاد الهندية سنة ١٩٣٠، ما أعرف من اللغات الهندية وغير الهندية، ولا الانكليزية نفسها ، كما أفادتني هذه اللغة التي، يعني المسلمون بها أكثر من غيرهم ، لأنها أصبحت كاللغة شبيهة بالدينية لديهم، لأن أكثر كتب الحديث ترجم اليها، وكذلك كتب الفقه فان أكثرها إما عربية أو أردية ، كما أن القرآن الكريم قد ترجم إليها عدة تراجم مختلفة؟

[عليكرة . الهند] إحسان سامي حقي